ما هو سؤلكِ ؟

لما كان قد وأى زمن الاعتقاد السخيف بضرر تعليم البنات . وزال الضغط عنهن فتنشقن نسيم الحرية المنعش وهب الوطنيون اجمع مندفعين بعاطفة الانتصار للحق وعوامل النهضة نحو كل ما يرقي المرأة و يرفع شانها . لا نعجب متى وجدنا المرأة هي مركز الدائرة في خطب واقوال وابحاث كبار القوم ومريدي الاصلاح . وان ذكرها يزين صفحات الجرائد في كل صقع وناد

نعم ولا غرابة من هذا الاهتمام لانه من نتائج تاثير العلم ودلائل الارتقاء الحقيقي اذ لا يرتفع شأن الوطن وهي خاملة الذكر . هذه حقيقة ظاهرة لا تحتاج الى زيادة ايضاح فافرح وتبتهج فتاة العصر الشرقية وقد وجدت في عصر راق تمتعت فيه بحقوقها . فلا تحتاج بعد الى المناضلة لقمع روح الاستبداد وازالة الضغط عن عاتقها كما فعلت سالفتها . بل صار في امكانها ان تتفرغ لعمل سام مفيد للوطن وان تستخدم قواها الى ما يؤول لخير بنات جنسها . انها اصبحت بفضل العلم الصحيح المستوي عَلَى عرش العقل والمتوج بتاج الحكمة والعدل ملكة سائدة لها الحق ان تطلب وتنال ما تريده .

وهنا يقف الفكر مليًا متأملاً في ماذا عساها ان تطلب

اني اخال منظراً يبهج النظر واسمع كلمات تحلو للسمع وتنعش الفؤاد . يتمثل لخاطري ذلك السلطان الجليل سلطان العلم بعد ان رفع مقام فتاة العصر وسلطتها قد مدّ لها صولجان المحبة وهي امامه خاشعة منحنية الراس وقلبها واقع بين اليأس والرجاء . وهو ينظر اليها نظرة الحنو والانعطاف ويخاطبها باعذب كلام قائلاً

ايتها المحبوبة لماذا انت كئيبة النفس ؟ ها اني قد رفعت قدرك الى اسمى مراتب الفخر . اجلستك عَلَى عرش القوة . نزعت عنك عار الذل والعبودية . فككت عن عاتقك قيود الاسر والضغط . البستك حلي الاستقلال فتمتعت بلذة المساواة . وقد سلمتك كنوز الحرية والنور فماذا يعوزك بعد . وعَلَى ما تتأوّهين ؟ الست انت السائدة عَلَى مملكة العائلة فماذا ينقصك . ما هو سؤلك وما هي طلبتك ؟

هذا هو مركز فتاة العصر . وعيون وقلوب ذويها وناصريها تراقب وتصغي الى ما يخرج من فمها وما عساها ان تسال . ولكني عَلَى ثقة ان الملكة الحكيمة لا تطلب ما يشين اسمها و يقبح ذكرها و يصغرها في العيون . فلنا في التاريخ افضل مثال واشرف انموذج

لكل فتاة نالت ارفع مقام وهو سيرة فتاة يتيمة اسيرة متعها الباري بكامل الحسن والجمال ادركت بهما قوة عظيمة ونهضا بها من حضيض الفاقة والضعة والخمول الى ذروة المجد والشهرة . فسكنت افخم القصور وحصلت عَلَى كل المشتهيات التي يحلم بها ويتمناها الذوق البشري ومع ذلك لم تكن سعيدة بل كانت خاشعة وكئيبة النفس خاطرت بحياتها طلباً لخلاص شعبها وانكرت نفسها حباً براحة قومها ونجاة امتها من سيف ذلك الظالم وانتقام ذلك العاتي . هذا كان سؤلها عند ما خيرت ماذا تطلب وتسأل . وهذا كان سر مجدها وسبب عظمتها واحياء اسمها العظيم . فان اسماء كثيرات من الملكات اضمحلت وتلاشى ذكرهن . واسم هذه الملكة الفاضلة باق ما توالت الازمان والسنون مقروناً بالكرامة والعظمة والاجلال

وبلا شك اننا نرى صورتين متباينتين لابنة العصر التي قد سمت منزلتها وخولتها قوة المعرفة ان تطلب ما تريد

الصورة الاولى هي المتهذبة التهذيب الحقيقي واعني بها المتشربة روح التهذيب الذي يحملها عَلَى ان تهتم ليس بنفسها فقط بل بانقاذ بنات جنسها من نقمة الجهل المريع

تفكر نفسها وتستعد لحمل عبء المسئولية حتى الغضب حباً بازالة الحكم الظالم القاضي بهلاك شعبها وسقوطهم بدسائس الغباوة . هي التي تبذل جهدها لاسعاف الضعيف واغاثة الفقير والاشفاق عَلَى المسكين . لا تضحك عَلَى بلية غيرها بل تطلب تخفيف مصائب وويلات الغير بما في امكانها من القوة وتوجه العناية الى من اخنى عليهم الدهر تمتاز عن ابنة اولئك المتوحشين الذين يسيئون معاملة اولادهم الضعفاء ومرضاهم وشيوخهم متى كبروا وعجزوا اذ انهم يطرحونهم في البراري والقفار وعَلَى شواطيء الانهار لكي تفترسهم الوحوش ويتخلصون من العناية بهم . يتركون اطفالهم الضئيلي الاجسام والنحيفي البنية تموت دون اعتناء بهم فلا يعيش منهم الا الاقوياء الاجسام والطويلو الاعمار . وهذا ما حدا بالامم الراقية الى انشاء دور العجزة واقامة الملاجيء للضعفاء وتشييد المستشفيات كما هو مشاهد ومعروف من خدمة المريض والضعيف والسعي في تأسيس جمعيات اعانات جرحى الحروب ومساعدة المنكوبين

فواهاً لتلك الصبية العذراء التي تقيم بجانب سرير المريض وهي تبتسم عن ثغرها اللطيف اذ تعطيه العلاج وتقوم بما يلزمه من الخدمة المفيدة . تسهر الليل لتعامله بكل انس ورقة

المتهذبة تسرء من كل مشروع حسن يعود بالنفع والفائدة على الغير وتشترك به وهي لا تعرف للتعصب معنى بل تنظر الى الجميع على السواء نظرة المحبة واللطف . ولا تتشبث برأيها بل تستخرج الفوائد من كل بحث وتتصرف بكل وداعة وحشمة مع الحكمة في استغنام الوقت المناسب لابداء رأيها واظهار ما في قلبها ليس بالخبث والاحتيال ولا بالغنج والدلال

وترفض ان تسير مع تيار العادات والتقليدات الممقوتة فلا تأنف من العمل وهما منها بدنائته ولا تستنكف من الخدمة البيتية والاشغال المنزلية

ولا تزدهي افتخاراً بجمالها او تتيه استكباراً ببعض المواهب الممتازة بها بل تستخدم ما مازها الله به في سبيل ما يرقيها و يفيد غيرها . ولا تتصنع في حديثها واعمالها بما ليس طبيعياً فيها ولكنها تجتهد باقتباس كل جميل ومفيد من عادات الاخرين وفوق ذلك انها لا تطلب ان تكون في حالة فوق ما وضعتها الطبيعة واقامتها له واعني انها تحافظ على خصائص الجنس اللطيف فلا تعمل الاعمال المختصة بالرجل وتتقلد اعماله لئلا تخسر مقامها وتنحط من منزلتها

فكم من التاوهات الخارجة من قلوب كثيرة اسفاً والماً من تصرفات سيئة تصدر من بعض المتعلمات ...

والخلاصة ان المتهذبة هي التي تقرن القول بالفعل فلا تقنع بما تعلمته في المدرسة من الاقوال وما سمعته من النصائح بل تمارس ذلك عملياً في حياتها وتصرفاتها اليومية

قد تعلمت ان تكون ذات لطف لانه من ثمار العلم الحقيق فلا يليق بها ان تكون ذات شرسة الخلق . تعلمت ان معرفة النفس هي راس المعارف فلا تنتفخ كبراً وازدهاء

تعلمت ان الوفاء والمعروف من اثمار المروءة والشرف فلا تتأخر عنهما . تعلمت ان البشاشة من اجمل ما تحلى به الفتاة لان البشاشة من انواع اسعاد الغير فقد قيل عنها انها نوع من الشعور مع الاخرين . والشعور مع الغير هو صدى المحبة الصحيحة التي من نتائجها الفرح مع الفرحين والبكاء مع الباكين . فمثل من تعلم هذه الصفاة ولا تمارسها مثل المريض المدنف عرف العلاج لدائه ولم يتناوله اطنب في وصفه دون ان يستفيد منه شيئاً فما الفائدة من العلم العقيم الغير المثمر . اما قرن القول بالفعل فنوع من الرياضة الادبية تقوى ما فطر الانسان عليه من الصفات الجيدة والفضائل الموروثة بل هو من اثمار التهذيب الحقيق ومميزاته والصورة الثانية هي التي تكون بعكس ما قدمت من الاوصاف . وحقاً انه لتقشعر